مجلة العلوم الإنسانية
ISSN 1112-9255
العدد السادس ديسمبر 2016

OEB Univ. Publish. Co.

رهانات تحصين الهوية في ظل غزو العولمة الثقافية: دراسة ميدانية وفق مقاربة سوسيو ثقافية على عينة من الأساتذة الجامعيين

Best immunization of identity Under the invasion of cultural globalization: a field study with sociocultural approach on a sample of professors from university

أ. زينب قريوة، جامعة جيجل – الجزائر / أ.لمين هماش، جامعة ورقلة – الجزائر

تاريخ التسليم:(2015/10/15)،تاريخ القبول:(2016/08/10)

ملخص:

أصبح موضوع الحفاظ على الهوية وخصوصيات المجتمع وقيمه حديث الساعة بسبب تأثيرات العولمة والانفتاح المطلق على الثقافات الغربية، مما دفع إلى تكريس قيم جديدة تغتال الهوية الأصيلة القائمة على الدين والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع المحلي وحل مكانها تقليد سلوكيات الغرب، لذلك جاء موضوعنا حول اغتراب الشباب الجزائري في ظل عصر العولمة وتأثيرات الثورة الرقمية وانتشار ثقافة الانترنت والوسائط المتعددة وما أنتجه من قيم دخيلة، وقد قمنا بتعزيز بحثنا بدراسة ميدانية على عينة من أساتذة علم الاجتماع والعلوم السياسية من اجل تسليط الضوء على واقع هذه الظاهرة وتأثيراتها السوسيو ثقافية للوصول الى الحلول الممكنة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، العولمة الثقافية، الشباب الجزائري، الغزو الثقافي.

Summary:

The subject of maintain the identity and specularities of the society and its values became the subject matter at the moment because of the affects of globalization and the absolute openness on western cultures which led to the penetration of new values assassinate the original identity based on religion, and traditions of the local society, and the western attitudes took its place, that's why the Algerian Youth's case floated on the surface in shade of globalization and digital revolution affects and spread of internet culture and different means and what it produced from exotic values , and we have supported our research a with field study supervised by a group of sociology professors and political sciences in order to shed light on the reality of this phenomenon and its effects socio-cultural to access the possible solutions.

Key Words: The Identity, Cultural globalization, Algerian youths, Cultural invasion.

إشكالية الدراسة:

أصبحت الثقافة الوطنية محل تهديد في ظل العولمة وسيادة النمط الغربي بسبب الغزو الثقافي الناتج عن انتشار النموذج الغربي بكل ما يحمله من سلبيات وا يجابيات، هذه التناقضات هي التي جعلت الجزائر كبلد عربي مسلم يقع في حرج من الاندماج التام في إطارها باعتبارها مساسا بخصوصية الهوية الذاتية للمجتمع الذي يتكون من سياقات مختلفة في جوهرها عن السياق الغربي الذي لا يعترف بتميز مقومات الآخر، وهو ما نتج عنه شبه أزمة قيمية في المجتمع نتيجة الصدمة الثقافية الحداثية المعاصرة خاصة بالنسبة لفئة الشباب الذي لم يعد في منأى عن الاغتراب الثقافي.

وعليه جاءت مقالتنا في إطار البحث في الإشكالية التالية: **ما هو تأثير العولمة الثقافية على تغير قيم الشباب الجزائري وهوية المواطن في ظل التغيرات العالمية؟ وما هي سبل معالجة الأزمة القيمية التي أصبح يشهدها المجتمع الجزائري؟**

وكإجابة مؤقتة لهذه الإشكالية تم صياغة **الفرضية** التالية: **تؤثر العولمة الثقافية على تغير قيم الشباب الجزائري وهوية المواطن وهذه الأخيرة مرتبطة بمدى المحافظة على القيم الأصيلة وخصوصية الهوية في ظل ضرورة الاندماج في الحركية العالمية للعولمة.**

ولإثبات أو نفي هذه الفرضية سيتم دراسة هذا الموضوع في النقاط التالية:

المحور الأول : أسباب نمو ظاهرة الاغتراب لدى الشباب الجزائري وعلاقته بأزمة الهوية الثقافية.

المحور الثاني: تهديد الخصوصية في ظل الثقافة الالكترونية.

المحور الثالث: الشباب الجزائري بين الاعتزاز بالهوية والاغتراب الثقافي.

المحور الرابع: إستراتيجية المحافظة على الهوية الثقافية بين الثابت والمتغير .

أهداف الدراسة: بالنظر إلى أن البحث الراهن هو دراسة ميدانية فإن الباحثان يهدفان من خلاله إلى محاولة استقصاء أراء عينة من النخبة الأكاديمية حول مظاهر الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري، ومدى التغير الحاصل في معاييرها في ظل سيطرة النموذج الفكري الغربي، والسعي لكشف تأثيرات العولمة الثقافية على الهوية الوطنية للشباب الجزائري مع توضيح العلاقة وثيقة الصلة بين الاغتراب المجتمعي للشباب والبعد عن القيم والأعراف والمبادئ الأصيلة للمجتمع، ثم محاولة تقديم بدائل لمواجهة الغزو الثقافي والصدمة الأخلاقية لمجتمعات العالم العربي المحافظ.

– أولا: أسباب نمو ظاهرة الاغتراب لدى الشباب الجزائري وعلاقته بأزمة الهوية الثقافية:

تتعد هذه الأسباب وا ن كان المجال لا يسع لذكرها كاملة فإننا سنكتفي بذكر أهم هذه العوامل:

* مخلفات الاستعمار الفرنسي وتأثيره على معالم الهوية العربية الجزائرية خاصة بالنسبة للغة حيث نلاحظ سيطرة اللغة الفرنسية داخل دواليب الإدارة الجزائرية حتى بالنسبة للمجتمع المدني وداخل المدارس في حد ذاتها.

* التبعية السياسية والاقتصادية للخارج وهي ما عبر عنه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار التي مازالت بلدان العالم الثالث تعاني منها في ظل غياب الحصانة الفكرية لهذه المجتمعات.

* تجاذب تيارات الأصالة والمعاصرة للشباب الجزائري خاصة في مرحلة المراهقة وهو الأمر الذي جعله لا يفهم واقع مجتمعه في ظل غياب الإرشاد والتوجيه المعتدلين من قبل وسائل الإعلام ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

* تخلي المؤسسات الثقافية عن مسؤوليتها الاجتماعية في التنشئة ونشر الوعي الثقافي بالنظر إلى حقيقية المخرجات التربوية والجامعية، حيث لم تعد ذات كفاءة علمية فهي غير قادرة على إنتاج شخصيات وطنية مثقفة بعيدا عن جعل الثقافة في خدمة السلطة السياسية.

* سلسلة التجاذبات الفكرية والإيديولوجية العقيمة التي تحيط بالجو الفكري الثقافي بالمجتمع الجزائري نتيجة غياب الوسطية والاعتدال في تبني اتجاهات فكرية معينة، حيث انقسمت ما بين تيار الالتزام الشديد والتعصب لمقومات الهوية العربية الإسلامية أو التطرف ونكران كل ما هو تاريخي أصيل واعتباره سبب التخلف وهو ما خلق العشرية السوداء(الحرب الأهلية) التي مر بها المجتمع الجزائري مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات.

ويكون الاغتراب نتيجة انحلال القيم الاجتماعية حيث يحاول الفرد البحث عن النظام لحياته إلا أنه يفشل في إيجاد النظام، وكذا في وضع خطط المستقبل مما يخلق فسحة تفصل العالم الواقعي الذي يرفضه والعالم المثالي الذي يسعى إليه، فيقوم الفرد إما بالانسحاب في حالة عدم قدرته على التغيير الاجتماعي إلى الأفضل وهذه حالة المثقفون و الاختصاصيون (هجرة الأدمغة والانسحاب الفكري للمثقفين من المشهد الثقافي) أو اللامبالاة بالأحداث الاجتماعية، أو الرضوخ للأمر الواقع ومسايرة القيم الاجتماعية السائدة (كما هو الحال حينما يصبح المثقف تابعا للسلطة) أو التمرد واللجوء إلى أساليب لإحداث التغيير الاجتماعي، كاستخدام العنف أو تكوين جماعات وحركات وأحزاب متطرفة (بركات، 2006، ص58).

وعليه، فإن هذه الأسباب قد ولدت ظاهرة الاغتراب الثقافي في المجتمع الجزائري ووضعته أمام أزمة هوية ثقافية، جعلت الشاب الجزائري في دائرة مغلقة يبحث فيها عن وضع استراتيجية للمحافظة على هويته بأصالتها ويضفي عليها القيم الجديدة التي تفرزها تطورات العصر.

-ثانيا: تهديد الخصوصية المجتمعية في ظل الثقافة الالكترونية:

تعتبر فئة الشباب هي عماد أي مجتمع وقوامه، فهي التي تحقق نمو المجتمعات وازدهارها وتحقق رقي في مختلف المجالات العلمية والعملية، ولإدراك المجتمعات المتطورة أهمية هذه الفئة نظمت جملة من الدراسات والندوات البحثية، قصد دراسة المشكلات التي تواجه هذه الشريحة، وا ذا كان الشباب في بقاع العالم يعتبرون من مبتكري التكنولوجيا الجديدة وصناعتها، فإن الشباب الجزائري يبقون مستهلكين

لها وحسب لانعدام فرص اختبار مهاراتهم وقدراتهم الإبداعية، ومن هذا المنظور وبالنسبة للشباب الجزائري فإن البيئة الرمزية التي تقدمها وسائل الإعلام المحلية تبقى منقوصة، ونظرا لانتشار الوسائط الإعلامية ورواجها أصبحت تغطي نوعا ما هذا النقص، حيث أن الشباب الجزائري ليس بمعزل عن هذا الغزو الإعلامي الذي أحدث تحولات عميقة داخل فئة الشباب الجزائري، وهو ما يظهر جليا في مختلف التشوهات الحاصلة في المجتمع، إذ أن المضمون الذي يتلقاه الشاب يؤثر حتما في معتقداته وتوجهاته الفكرية هذا نهيك عن التغيير الجذري في سلوكه. وقد أشار الكاتب الأمريكي "**صمويل هنتغتون**" والمنظر للعولمة الأمريكية في كتابه **(صراع الحضارات)** إلى أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية الرمزية هي الحدود الثقافية بين الحضارات، وكل من ينتمي إلى هذه الهوية المكونة من الدين واللغة والتاريخ والتراث الثقافي، فالنقاش حول الهوية قد أصبح سائدا في ساحات النقاش الفكري في العالم سواء في الدول الضعيفة والقوية والمتقدمة.

إن أكثر ما يلفت الانتباه في ظواهر العولمة في المجال الثقافي هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فقد أصبحت الموسيقى والبرامج التلفزيونية والمسلسلات، والأفلام السينمائية الأمريكية منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة، والمشروبات، وغيرها من السلوكيات الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع، ويبدو أنها تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها الاقتصادية والسياسية.

لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز للبعض أن يطلق عليها :ثقافة الميديا وثقافة التكنولوجيا وثقافة الوسائط المتعددة فكما لقب **أرسطو** بـ« المعلم الأول» حاز **والت ديزني** على لقب « المعلم الأعظم » بعد أن باتت الثقافة إعلامها وترفيهها تصنيعا لا تنظيرا" (علي،2001، ص350).

وهكذا فبدلا من الحدود الثقافية والوطنية والقومية تطرح إيديولوجيا العولمة حدوداً " أخرى غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك.

إن العولمة التربوية والثقافية أخطر أنواع العولمة إذ يمكن اعتبارها عملية اغتصاب تربوي للفرد والأمة والمجتمع وقهر لهم جميعا ويتضح ذلك من خلال التدخلات الخارجية بتغيير المناهج وعملية التعليم واستخدام وسائل الدعاية والإعلام وشبكات الاتصال الحديثة كالأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشاشات الحاسوب لتنفيذ ذلك حتى يمكن هدم المنظومة القيمية للمجتمع (هويدي، قنوعة، ماي 2013 ص27).

وتعد مخاطر العولمة على الهوية الثقافية مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإرادة الوطنية والثقافة الوطنية فالعولمةتعني مزيداً من تبعية الأطراف لقوى المركز.

إن الدول والمنظمات الداعية والعاملة لفرض ظاهرة العولمة تعمل على استثمار منجزات ثورة الاتصالات والتقدم التقني والتكنولوجي في نشر ثقافة جماهيرية واحدة وبقوالب محددة مسبقة الصنع عمودها الفكري الاستهلاك، فالإعلان أصبح سيد الموقف في كل الفضائيات وشكلت المواد الإعلانية هذا الهاجس والمسيطر والبوصلة التي توجه الأجيال الجديدة في التفكير والتعامل والبيع والعرض والترويج وأسلوب الحياة بكاملها وبذلك فإن هذه العولمة ستؤدي إلى تغيير في القيم الحالية والخصوصية الموجودة في مجتمعاتنا وتؤدي إلى حدوث تغييرات اجتماعية عميقة (صقر،1998ص204).

لا تخلو العولمة من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والإرادة وجعلهما يعملان وفق أهداف المستعمر وفي إطار خططه ومصالحه مع تحييد قوة الدولة أو إنهاكها واستلابها وانتزاع مقومات حضورها وتأثيرها الاجتماعيين وفرض نوع من الإدراك الواقعي مع إلحاق شلل بالوعي المنقذ والإرادة والقوة وطاقات الروح وبالإيمان وقدراته الخلاقة عند المؤمنين (يعقوب،2002،ص264).

إن الغرب يرمي إلى تحقيق أهدافه بكل الوسائل الممكنة، ويضعها على رأس مشاريعه وسياسته ومنها فرض التبعية من خلال الاختراق والغزو الثقافيين وتخريب قيم الآخرين واستقطاب الأجيال الصاعدة بدغدغة غرائزها وتوجيه ميولها والتركيز على ما هو في سطح الاهتمامات البشرية لديها لحصرها في حيز السطح من الاهتمامات والمهام والتطلعاتمستفيد ًا من فاعلية التفوق والقوةو السيطرة والثروة التي لديه في هذا المجال للوصول إلى زعزعة الثقة ثم محو الشخصية ومقومات الآخر ونحن نعرف أن أهم مقومات الشخصية الثقافية لأمة من الأمم: اللغة والدين وبقية السمات والعادات والتقاليد والأعراف ومكونات الذاكرة التاريخية للأمة (حجازي،1985، ص2).

وقد تجاوز مخطط التفتيت للمجتمع العربي الأبعاد السياسية والجغرافية إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية والفكرية والروحية وتأتي العولمة لتحقيق هذه الأهداف، لذا فإن العولمة أصبحت تحمل في طياتها نوعا آخر من الغزو الثقافي أي قهر الثقافة الأخرى لثقافة أضعف منها لأن العولمة لا تعني مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات بل أنها توصي أيضا باحتمال نشر الثقافة الاستهلاكية والشبابية، وبهذا تختلف العولمة عن العالمية والتي تعني إغناء الهوية الثقافية بينما العولمة تعني اختراقا، فالاختراق العولمي يعني إلغاء الحوار والتبادل الحضاري والحلول محله ويستهدف العقل والنفس والذين هما الأداتين اللتين من خلالهما يتم التفسير والتأويل والتسريع وقبول ما هو مفيد ومحاربة ومواجهة ما لا يتناسب مع خصائصنا بحيث انتقل من السيطرة عن طريق الايدلوجيا إلى السيطرة عن طريق الصورة السمعية والبصرية التي تسعى إلى تسطيح الوعي.

-ثالثا: الشباب الجزائري بين الاعتزاز بالهوية والاغتراب الثقافي:

أصبح اليوم الخوف من عواقب ثورة المعلومات والاتصال الحديثة وغدا للعيان أنها اليوم مهددة تحت وطأة قوى التكنولوجيا والمعلوماتية التي تلح علينا بالانفتاح بالمعرفة والصورة والصوت، حيث أن

موجة الوسائط المتعددة الوافدة إلينا عبر الأقمار الصناعية المختلفة والتي تلج إلى بيوتنا دون طلب الإذن منا سلبت قيم أطفالنا وشبابنا ونحن نتفرج عليها دون أن نحرك ساكنا، بدواعي التحضر والانفتاح على ثقافات الآخرين، ومن دون أن نقوم بتوجيه وا ٍرشاد أطفالنا وشبابنا فيما يختارونه وأيضا مراعاة البيئة التي يعيشون فيها، كما أننا أصبحنا غير مهتمين كأولياء أمور بالحوار مع أبنائنا في العديد من القضايا التي أصبحت تشكل هاجسا داخل الأسرة العربية، والتي أصبح الحديث فيها مع الأبناء من الممنوعات مثل العلاقات الجنسية والزواج، والصداقة والتعارف والحب وتبادل المعلومات، وهذا مايدفع بالأطفال والشباب خلال مراحل نموهم لمعرفة هذه المسائل إلى اللجوء لوسائط الاتصال والإعلام المختلفة، وذلك من أجل إشباع رغباتهم وحاجاتهم، وهذا الإقبال من طرف الشباب على مستحدثات الإعلام الجديد هو سنة من سنن الحياة فهم يتطلعون أكثر من غيرهم إلى كل ما هو جديد.

ففي الوقت الذي أصبحت المجتمعات الغربية تروج لثقافاتها وقيمها وأنماطها السلوكية المتناقضة مع ثقافاتنا المحلية، والتي باتت تهدد الخصوصيات الثقافية والحضارية لبلداننا التي أصبحت تعيش حالة تبعية ثقافية من خلال ما أفرزته العولمة والتكنولوجيا، وبما أن ثقافة الآخر ثقافة استهلاكية فإن شباب مجتمعاتنا يقف أمام تحديات المحافظة على هويتنا الثقافية وتحديد أين يتميز فيها الثابت عن المتحول، وما الثورة التحريرية إلا تعريفة يعتز بها الجزائري، إلا أنه في عصر العولمة وانتشار ما يسمى بالثقافة الإلكترونية أصبح الشاب الجزائري أمام تحد خطير" فعلى صعيد السياسة والاقتصاد أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوة وذلك بعد أن فرضت القوى السياسية وقوى المال والتجارة سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيري التي أصبح وابل رسائلها وهوائياتها يفعل ما كانت تفعله في الماضي منصات الصواريخ الموجهة ولا يناظر ضراوة اللغة إلا صمودها فهي القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية" (علي،2001،ص233)، وذلك تحت شعار الموضة والتفتح على الآخر ومواكبة تطورات العصر وما نشاهده اليوم في واقعنا من اختلاط وانحلال للأخلاق وانتشار للعلاقات غير الشرعية داخل مؤسساتنا التعليمية وأيضا انتشار للجريمة واختطاف الأطفال والعنف والاغتصاب والغش والرشوة والمخدرات وتبادل الصور الإباحية بين الشباب خير دليل على مخاطر وسلبيات القنوات الفضائية وشبكة الانترنت والهواتف المحمولة وغيرها من الوسائط الإعلامية الحديثة ومن المنطقي أن يكون لهذا الصراع ذي الطابع التربوي صيغته الخاصة في عصر المعلومات والمعرفة، حيث نجد الولايات المتحدة تسعى جاهدة إلى عودة التربية هي الأخرى تحت شعار حماية حقوق الإنسان ناظرة إلى هذه العودة كشرط أساسي لنجاح عودتها الاقتصادية، فعن طريق التربية يمكن تنمية النزعات الاستهلاكية لدى الصغار الذين هم زبائن المستقبل " (علي،2001،ص296).

ولا نستطيع أن ننكر أنَّ العالم قد أصبحَ اليوم قريةً كونيةً سريعةَ التغيّرِ والتّأثر ببعضها البعض فالوقوف على طبيعة التحدّيات التي تواجهُ جيل الشباب تمنحُنا معرفةً كافية عن واقعنا الحالي وكيف

نتجه نحو المستقبل وما الذي تفرضه علينا معطيات العولمة من ضرورة احتواء الشباب الذين هم حصونُ أمتنا المنيعة استطعنا أن نسلحَهُم بالوعي والمعرفة والثقافةِ الكافية لمواجهة هذه التحديات، وقد عبّر أحد الباحثين عن ذلك **بقوله" أن نقولَ إنَّ جيلَ الشبابِ هو أمضى أسلحة العالم العربي في صراعه المصيري من أجل خروجه منْ كهوف الظلام وصنعِ مستقبلٍ أفضلّ ".**

وترجع معظم الكتابات والأبحاث العديد من المشكلات التي يعاني منها شباب اليوم إلى **اضطراب النسق القيمي** لديه، هذا الصراع يؤدي بالشباب إلى اضطراب هويته ويفقده الإحساس بالهوية ويصبح مضطربا وجدانيا مما يؤثر على طريقة سلوكه وأفكاره "فقبل كل تحديث مادي وجب الانطلاق بالتحديث الفكري الذي يطال المجالات الفكرية والتعليمية ثم المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ولا مجال للاختلاف في هذا المستوى عند القول بأهمية الفكر في جعل التحديث مسارا وطنيا جامعا يتفق بعد تشكل وعيهم المدني وتحررهم من الخرافة والقيود والجهل". (شيحة،2015،ص12).

-رابعا: إستراتيجية الحفاظ على الهوية الثقافية بين الثابت والمتغير ومسايرة الآخر:

يتطلب فهم إستراتيجية الحفاظ على الهوية الثقافية إجراء نقاش معرفي بين ثوابت القيم ومتغيراتها التي أصبح يشهدها الشباب في ظل سلسلة من التغيرات المتناقضة المؤثرة على بناء العلاقات الاجتماعية والمنظومة القيمية والهوية الثقافية للفئات الفتية في المجتمع والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: **هل بناء هوية ثقافية يتطلب الحفاظ على الثوابت القيمية أم أنها تستلزم فكرة مسايرة الحضارة العالمية والحصول على المواطنة العالمية؟**

هذا السؤال يمكن معالجته من خلال ثلاث اتجاهات و هي:

أ- الاتجاه الأول: بناء هوية ثقافية جديدة (التيار العلماني): يدعو هذا الاتجاه لبناء هوية جديدة تقوم على مبادئ الحداثة ومسايرة الآخر والانفتاح وتقبل ثقافات جديدة، حيث يرى هذا الأخير أن الانغلاق موقف سلبي غير فاعل، ذلك لأن فعله الموجه ضد الاختراق الثقافي أي محاربته لا ينال من الاختراق ولا يمسه، بل فعله موجه كله إلى الذات قصد تحصينها، والتحصين إنما يكون مفيدا عندما يكون المتحاربان على نسبة معقولة من تكافؤ القوى والقدرات، ومواجهة الظاهرة نفسها يجب أن تمر عبر مواجهة خطاب "النخب التابعة"المتبنية لأطروحة وجود حضار ة عالمية واحدة وثقافة عالمية واحدة يستحيل العمل خارجها أو التفكير بغير منطقها، ويرجع ذلك لعدة اعتبارات منها:

*أن الأقطاب الاقتصادية الكبرى لا تميز في ظل العولمة والشمولية وثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال، أثناء تكييفها للعقول تمهيدا لغزو الأسواق، بين حضارة وأخرى أو بين ثقافة وأخرى، فما يهمها هو توسيع الفضاء الاستهلاكي العالمي كشرط مسبق لرفع مستوى الإنتاجية والربحية وتسريع وتيرة "**الدورة الرأسمالية**".

* الولوج في عالم الاتصالات والموضة العالمية التي جسدتها العولمة وتأثيراتها على عقول الشباب الذين أصبحوا تابعين للغرب بحكم مقولة "**عبد الرحمان بن خلدون**" "المغلوب مولع بتقليد الغالب".وبالتالي فإن ذيوع قيم المركز (الدول الغربية) في الأطراف، وانتشار ظاهرة الاغتراب وزيادة التحيز نحو الثقافات والمجتمعات في الأطراف إلى الغرب والميل نحو الإعجاب به وتقليده واعتباره نموذجا للثقافة العالمية ونمطا للحداثة، جعل الأمر في مجمله يسهم في خلق أعباء إضافية، وربما معضلات مستقبلية، أمام مؤسسات الثقافة الوطنية، ويمكن أن يقود إلى رد فعل على الغرب وحداثته قد تتجسد بعض صوره في النز اعات السلفية – نسبة إلى الأسلاف والأوائل – التي ترفض الغرب وتحتقر الحداثة وتنفر من المعلومات وتفضل تراث الأنا على علم الأخر وحداثته. (قوي، 2009،ص19).

ب- الاتجاه الثاني: المحافظة على الهوية يستلزم المحافظة على المعالم الأصلية:إن تغير القيم الحالية يحدث نتيجة التأثر بالثقافات الأخرى أو بسبب التلاؤم مع مظاهر التغير المادي، فانهيار البناء الثقافي ووجود تناقض يسن الأهداف والقدرات البنائية الاجتماعية لأفراد الجماعة التي تتلائم معها، وعجز الشباب عن تحقيق تلك الأهداف التي تقرها الثقافة السائدة بالوسائل المشروعة شجعهم على احتقار القيم والمعايير الأصيلة في المجتمع، فالتركيز والحرص على التميز، وضرورة صياغة الذات في ثوب ثقافي تشكله خصوصيات الجماعة الاجتماعية والوطنية بشكل خاص على اعتبار أن الوطن كفيل برسم المعالم الثقافية العامة للجماعات التي تعيش داخله، رغم بعض الفروقات التي تميزها والتي يمكن اعتبارها مصدر غنى للثقافة تأسس لهوية ثقافية وطنية، فهوية الجماعة أو الهوية الوطنية بشكل أعم هي التي تبني سيادة المجتمعات من خلال التميز الذي يناقض الرضوخ والخضوع ثقافيا أو من خلال ترقية الذات بتثمين الخصوصيات الثقافية للمجتمع .

فمدام أن الهوية تتموقع في موضع يقابل "**اللا هوية**" ومحاولة الاحتواء الثقافي التي تنتهجها البلدان المتقدمة مع ممانعة ثقافية على مستوى المجتمعات المحلية، كون أن سيرورة المجتمعات وسيادة أمة من الأمم تتم بالاعتماد أولا على تعميق تميزها أي بالاعتماد على خصوصياتها الثقافية وتوظيفها توظيفا سليما، لأن هذه الخصوصيات هي الأقرب من وجدان الأفراد وأذهانهم وهي التي تعمل دوما على تكييف شخصياتهم وتهيئتها، كما أنها تقدم نفسها لهؤلاء الأفراد مادة خاما وقاعدة للبناء الاجتماعي والحضاري، وبهذا حتى يتم المحافظة على الهوية لابد أن يبقى أفراد المجتمع متمسكين بقيمهم المحلية والتي تكون ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والظروف، وذلك بغية الحفاظ على الذات، والتعريف بها للآخر عوض تقليده وتبعيته له.

ج- الاتجاه الثالث: هوية أصيلة بثقافة معاصرة: أصبحت مسألة القيم في الآونة الأخيرة تأخذ أوجها في عصر العولمة وفي ظل تداعيات تحقيق الأمن الثقافي (الهوية)، حيث وجد المجتمع نفسه أمام خيارين، إما المحافظة على القيم الداخلية وا ٍما مسايرة ثقافة الغرب، حيث أنه إذا ما سلك الخيار

الأول فإنه يكون قد اختزل ظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت وتفعل فعلها بالإغراء والعدوى والحاجة، ويفرضها أصحابها بتخطيط واستراتيجية، والانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطيء قد تتخلله بطولات مدهشة ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخفاق"، لهذا نجد أنفسنا بحاجة للتبادل الثقافي بأطره الحضارية والاقتصادية والاجتماعية بين المجتمعات، وفي هذا الصدد يقول "**عبد المنعم محمد بدر**": من المتوقع أن يزداد الاغتراب عند الفرد في مرحلة الانتقال من عصر ما قبل العولمة والذي هو من وجهة نظرنا لا يزال في إرهاصات البداية، فالمجتمعات الآن تنتقل من تقليدها وتقاليدها التي عاشتها طويلا إلى حال جديد عليها، لذلك فهي تستشعر ما يسمي **بالاغتراب الثقافي** حيث تخشى الغزو الثقافي وتشعر أحيانا بالضياع وقد تجد المجتمعات نفسها إما في حالة الاغتراب أو أنها تنبهر بوسائل الغزو الثقافي فتتثله ومن ثم تتقبله، فإذا تمثل مجتمع وبالتالي أفراده ثقافة الآخر فهو يعيش اغتراب التمثل، وإذا قاومه ورفضه فهو يعيش مشكلات الصراع الثقافي" (المطرفي،2005، ص24)،وإذا اتبع الخيار الثاني فإنه يقع في أزمة الاغتراب والانسلاخ عن أصول والثوابت مما ينتج عن ذلك في فقدان المجتمع لهويته.

تأسيسا لهذا بات لزاما على المجتمع أن يعمل على **إحداث توازن بين الأصالة والمعاصرة** لينتج هوية أصيلة بمعايير عصرية، وذلك بوضع نسق أو نظام للمعايير والقيم يستطيع من خلاله الفرد التعامل مع الأشخاص والمواقف والأشياء، حيث أنه إن غابت أو تضاربت القيم يصبح الإنسان مغتربا عن ذاته وعن مجتمعه، وبالتالي يدخل المجتمع في صراع قيمي الذي يؤدي بالنظام الاجتماعي إلى التفكك والانهيار والتلاشي والضعف وهذا ما نشهده في المجتمع الجزائري الذي تغولت فيه القيم الدخيلة على القيم المحلية مما جعل التغيير الاجتماعي مبتور وغير نافع.

وبالتالي فإن تحقيق هوية ثقافية تساير الثابت والمتغير تستلزم إحداث توازن بين قيم ثابتة وهي القيم الإسلامية، وبين طموح الاندماج العالمي وبين فئات محلية منقسمة فيما بينها على أساس العادات والتقاليد، إذ أن بناء هوية وطنية سليمة تقوم على نشر الثقافة السياسية الدينية والإسلامية الصحيحة في أوساط الشباب من غير غلو ولا تعصب بعقلانية والانفتاح على الثقافات والأديان من غير كراهية للآخر لأنه آخر، وتنمية أهمية بناء مجتمع وثقافة الوحدة في ظل التنوع السياسي و الثقافي، الحزبي، الفكري، اللغوي، الحضاري... (حجاج،2003، ص90).

حيث أن الهوية يمكنها أن تتحول إلى اغتراب إذا انقسمت الذات على نفسها وتتحول مما ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن، ومن إمكانية الحرية الداخلية إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد أن يصاب الإنسان بالإحباط، فيسيطر الاغتراب على موضوع الهوية، هنا تصبح الهوية حالة مثالية والاغتراب حالة واقعية(حنفي،2012، ص24).

-**منهج الدراسة:** بما أن الغرض من الدراسة الحالية هو استكشاف وجهات نظر الأساتذة الجامعيين حول خصوصية هوية المجتمع الجزائري فإن المنهج الوصفي هو المنهج الملائم لهذه الدراسة حيث تم

استخدامه من أجل تقصي موقف هؤلاء حول الواقع السوسيوثقافي للمجتمع الجزائري ومسار تحصين الهوية.

– **أدوات الدراسة:** من أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة تم الاعتماد على تقنية المقابلة الموجهة سواء كانت مباشرة أو إلكترونيا عبر البريد الإلكتروني وصفحات الفايسبوك الخاصة بالأساتذة عينة الدراسة لأنها أنسب تقنية للمواضيع الاستكشافية، بالنظر لما توفره من قدرة على التعمق في الموضوع والحوار المباشر مع الشخص المعني، وقد قمنا بتقسيم دليل المقابلة إلى ثلاث محاور تتضمن كل منها مجموعة من الأسئلة المفتوحة، حيث يتناول **المحور الأول تشخيص واقع المجتمع الجزائري** وفيه تساءلنا عن مدى رضا الأساتذة الجامعيين عن دور الجامعة في تعزيز ثقافة المجتمع والوعي السياسي والثقافي لدى الشباب على اعتبار صلة التفاعل وتبادل التأثير بين السياسي والمثقف، وسبب انتشار الظواهر السلبية المنحرفة في المجتمع الجزائري.

كما ركزنا في **المحور الثاني على تقصي خصوصية الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري** عبر الاستفسار عن تأثير العولمة الثقافية على المج الجزائري وهل هناك أزمة ثقافية سببت تهميش اللغة العربية وحقيقة مفاهيم مثل الحداثة والعلمانية في ظل الخصوصية القيمية للمجتمع الجزائري.

أما المحور الثالث والأخير فقد كان عن الرؤى والتصورات المناسبة قصد تحسين واقع المجتمع الجزائري وتحصين هويته عبر البحث عن السبيل لتعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي في الجزائر، والتساؤل عما ينقص الجزائر لتكون بلدا متقدما وكيف السبيل لمواجهة إشكالية الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية الخاصة؟

عينة الدراسة: تم إجراء الدراسة الميدانية مع **عشرون (20) دكتور** من تخصصات علم الاجتماع و العلوم السياسية عبر مختلف الجامعات الجزائرية ممن سنحت لنا الفرصة للتواصل معهم وقبلوا الإجابة على أسئلتنا وقد قمنا بعدها بتحليل تساؤلات الدراسة.

عرض معطيات الدراسة وتحليل نتائجها:

المحور الأول: جاء هذا المحور كمدخل للاطلاع على الواقع السوسيو ثقافي للشباب الجزائري حسب وجهة نظر الأساتذة المبحوثين، وقد عبر هؤلاء بأنهم غير راضين بتاتا عن واقع الجامعة الجزائرية بالنظر لضعف مخرجاتها وسياسة تغليب العدد على النوعية وبعدها عن متطلبات العلم والتنمية وتعزيز الانتماء وغياب ثقافة المشاركة في اتخاذ القرار وهو الشيء الذي أدى إلى العزوف عن المشاركة السياسية خاصة مع سيادة منطق المصلحة الشخصية على حساب المصلحة العامة والعروشية على حساب الجدارة، وهو نفس الأمر الذي جعل المجتمع في خطر النزاعات القبلية والمذهبية والاحتجاجات كما هو الحال في الصحراء الجزائرية من غرداية إلى عين صالح نتيجة غياب العدالة الاجتماعية وسياسة الإقصاء وغياب وسائل الضبط الاجتماعي التقليدية والمعاصرة ،وهو ماساهم في تفشي ظواهر

مثل الانحراف، المخدرات، الهجرة غير الشرعية، والتعدي على الأصول والعنف المادي والمعنوي في المجتمع الجزائري ،فيما اعتبر أحد المبحوثين أن هذه الظواهر إنما هي الثمن الطبيعي لعملية التمدين والتحضر (من الحضر وليس الحضارة) والخطر الحقيقي هو في تزايد حجمها وحدتها.

أما فيما يخص **االمحور الثاني المعنون بخصوصية الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري** فقد رأى المبحوثين بان هناك أزمة ثقافية في المجتمع الجزائري تظهر ملامحها في فراغ ثقافي وتربوي وديني يهدد الهوية، فيما أشار أحد الأساتذة إلى أن هذه الظواهر شيء محتوم بالنظر إلى أن العولمة أصبحت ظاهرة موضوعية والانغلاق أمر غير ممكن، ولا يمكن الحكم عليها بعيدا عن طبيعة الشخص المستعمل لها فلها وجهين ايجابي وسلبي وكل حسب الوجه الذي يتبعه.

فيما البعض يرى أن العولمة الإلكترونية أو ثقافة الواب هي الأشد خطرا إن لم يحسن الاحتياط لها لأنها من الممكن أن تشكل تهديدا كحال اللغة العربية التي أصبحت ثانوية في مجتمعنا الجزائري ففي مؤسسات الدولة الرسمية نجد غلبة اللغة الفرنسية حتى في الخطابات الرسمية على أعلى المستويات لذلك لابد من إيجاد البديل الحضاري لمواجهة الغزو وتفعيلها في الإعلام والمنظومة التربوية بجعلها لغة العلم ولغة الرسميين و لغة الأسرة وجعلها قادرة على الإنتاج العلمي والثقافي للتخلص من عقدة أن المغلوب مولع بإتباع الغالب، في حين اعتبر أحد المبحوثين بأن في الجزائر فئتان أولاهما هي الأقليات التي تمارس ضغطا شديدا على أبنائها وتحاول تسييج الهوية حتى لا تتحلل في الغالبية حتى ولو كان ذلك بالتحلل في ثقافات أخرى بما فيها الغربية الثانية هي فئة الأغلبية في المجتمع تتشكل بحكم التركيبة السكانية للجزائر من نساء تصل الأمية بينهن إلى **17** بالمائة هؤلاء هشات ثقافيا ومن السهل التأثير عليهن من خلال البرامج التلفزيونية التي غيرت كثيرا في مجتمعنا وابسط الأمثلة طلبات الطلاق لأسباب واهية تتعلق بأبطال المسلسلات، كما أكد بأن هناك أزمة ثقافية على جميع الأصعدة هناك بالأساس تحرر أخلاقي وتفكك مجتمعي وابتعاد عن القيم الدينية والمجتمعية والثقافة والسلوك ومجاراة رهيبة للموضة رغم تعارضها مع الذوق العام.

وفي سؤال تم طرحه حول تعارض مفهوم الحداثة مع الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري أكدت عينة الدراسة أن الحداثة مفهوم غربي ظهر مع الرأسمالية وهي مشبعة بثقافة وتكنولوجيا وعلوم ومبادئ غربية، فيما قال احد أفراد العينة المدروسة بأنه لا توجد حتمية بين الحداثة وتهديد الخصوصية العربية، والحداثة ليست اختيار وا نما هي توجه عام تفرضه المتغيرات الجديدة، وفي نفس الإطار تساءلنا عن موقف الأساتذة من التيار الذي يدعو للعلمانية في المجتمع الجزائري وأكد أفراد العينة على أنه تيار تغريبي لابد من إهماله وتفعيل عملي للثقافة الإسلامية العربية .

المحور الثالث: رؤى حول تحسين واقع المجتمع الجزائري وتحصين هويته:

في سؤال حول تقييم أفراد الدراسة لوعي الشباب الجزائري ومستقبله أشار البعض إلى غياب معيار للقياس يمكن الإجابة من خلاله، فيما أجاب احدهم بأنه مستوى متدهور و مبنى على أسس ثقافية غربية يحتاج لإعادة إنتاج مبنية على تنشئة اجتماعية وأسرية متينة، وصرح آخر بأنه لايوجد انخفاض في مستوى الوعي خاصة المستوى الأخلاقي كونه أساس الشعور بالمسؤولية التي تحمي وجود المجتمع وتضمن أداء كل فرد لدوره بفعالية والتزام، لذلك فمستقبل الشباب والمجتمع الجزائري ككل هو مستقبل مبهم وخطير ومفكك، لأن الشباب أصبح مخدر بعدة أنواع من المخدرات أهمها التجهيل ومسخ الهوية وسياسات تمييع البرامج التعليمية وتسييس النجاح مقابل سكوت الأولياء، وقصد تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي في الجزائر اتفقت إجابات الأساتذة المبحوثين حول ضرورة العودة للمقومات الأولى للاقتصاد وهي الفلاحة والزراعة للتخلص من التبعية الاقتصادية التي تعد مدخل للتبعية والسيطرة الغربية، مع ضرورة بناء فضاء صناعي جديد قائم على ثقافة الفرد وغير مستورد لتحقيق التقدم الاقتصادي وتحسن المعيشة وذلك عبر العمل الجاد والأخلاقي وهو السبيل الوحيد للانفراد الاستقلالية .

ولمواجهة إشكالية الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية الخاصة يجب العودة للدين الإسلامي وإحياء التراث المادي والمعنوي للمجتمع الجزائري ، كذلك لابد من النهضة الفكرية والعلمية التي تبدأ بإصلاح التعليم بحيث تترسخ قيم الهوية الوطنية في الطفل منذ السنوات الأولى لحياته، بمجرد انتماء الطفل إلى البيئة الخارجية يستحيل عزله وإعطاؤه الهوية بمعزل عن الثقافات الأخرى بحكم التطور التكنولوجي.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى تأكيد أحد ممثلي العينة المعنية بالدراسة بخصوص أن النظام السياسي والاقتصادي فكك ثوابت المجتمع وضربه في الصميم وهو السبب المباشر في اهتزاز الهوية الثقافية الجزائرية لأنه لم يعمل على تعزيزها وتحصينها بل بالعكس أصبح يكرس سياسة الولاء والتبعية للغرب مما يجعل المجتمع الجزائري وخاصة شبابه غير بعيد عن منأى الاغتراب.

خاتمة:

إن علاقة الاغتراب بمرحلة الشباب قد تدخل المجتمع في صراع قيمي ثقافي يعيقه عن التقدم ويشوه هويته، ومادام الاغتراب الثقافي يؤثر على تغير قيم الشباب الجزائري فلابد من زرع قيم المحافظة على الأصالة في امتزاجها مع المعاصرة من خلال استنهاض همم الشباب ومنحهم دوراً أكبر في المجتمع وإتاحة الفرصة لهم للتغيير، وذلك لا يكون إلا من خلالنشر ثقافة الحوار الهادف والبنّاء في حلّ مشكلات الأمة، والتمرن على قبول الرأي والرأي الآخر من أجل التقريب بين مختلف الاتجاهات الفكرية

وتعظيم نقاط الاتفاق، وتضييق الخلاف إلى أقصى درجة ممكنة لننطلق بعدها إلى محاورة قوى العولمة بصوت واحد، وباختصار إن الحل الأمثل في مواجهة خطر العولمة الثقافية هو التحصين من الداخل، عبر تسليح أبنائنا وبناتنا بالقيم الوطنية والثقافة العربية وتبصيرهم بأن العزة والفلاح هو بالمحافظة على هذه القيم، وأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صَلُحَ به أولها، وأن أسلافنا ما كانوا ليبلغوا ما بلغوا لولا تمسكهم بالقيم الإسلامية.

قائمة المراجع:

- المطرفي، شعيل بن بخيت.(2005). *الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالأداء*. رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، غير منشورة.
- حجازي،عزت.(1985). *الشباب العربي ومشكلاته*. (د ط)، *موسوعة عالم المعرفة*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- يعقوب، سعيد. (2003). *الصهيونية والعولمة . الفكر السياسي*. (د ن)، العدد 16.
- بركات، حليم. (2006). *الاغتراب في الثقافة العربية. متاهات الإنسان بين الحلم والواقع*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حجاج، قاسم.(د.ت). التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج.، *مجلة الباحث*، (العدد 02).
- حنفي، حسن.(2012).*الهوية*،(د ط)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- شيحة ،عبد المنعم .(2015). *انهيار مشروع الحداثة العربي*.(ط.1)، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- صقر، تركي .(1998).*الإعلام العربي وتحديات العولمة*.(د ط)، دمشق: وزارة الثقافة.
- علي نبيل.(2001).الثقافة العربية وعصر المعلومات.(د ط)، الكويت، علم المعرفة ،(العدد265).
- قوي، بوحنية.(2009). سلطة الإعلام وقيم التحول في التنمية السياسية. *مجله دفاتر القانون*، (العدد01).
- هويدي عبد الباسط، قنوعة عبد اللطيف.(ماي2013). تأثيرات العولمة على المنظومة التعليمية الجامعية. *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة بسكرة،(العدد 31/30).